

جمال الغيطاني - أوراق شلاب

عاش منذ ألف عام

المقتبس من عودة ابن ياس إلى زماننا

ارتفعت فالدينا غير الدينا والمدنية ليست بالدينية، حتى الناس خلاف الناس. لا أهلي لقيتهم، لا كبير أو صغير. عظيم أو حقير من أيامي التي أجهل مصيرها ولم أعرف ما يفصلني عنها شهور أو سنين. وعندما بنت أصحاب الرقيم من نومهم ليتساءلوا فيما بينهم، قال قائل منهم..

كم ليشتم؟

قالوا ليشتم يوماً أو بعض يوم، قالوا ربكم أعلم بما ليشتم.

لكنني لم أعرف كم مضى علي ولم أعرف لم جئت؟ غير أني قلت لو انشبت وراء الدهشة والغربة، لو تملكيت مني الرهبة واقترسني الخوف، لضعمت في هذا الزمان الذي تحرك وطار فيه الجراد، فلأرقب وأستمع ما يدور حولي من عجائب وغرائب. والله لو رآها واحد من أهل زمانني لشف جلدته ومات رعباً وراح على نفسه.

★ ★

الأول من اليوم الأول

المقتبس
تعاظم الزحام في الطريق حتى خلته يوم الحشر.. كدت أتعثر في

صغيرة فوق باب زويلة. كانه البليدة أيام توقف النيل عن الزيادة، كانه، والله، وجوه العوام البتشة لحطة طواف المنادي معلناً عن مكوس جديدة من قبل السلطان. فجأة... قرعتم السماء وسمعت أصوات غريبة، ضحك رجل وقال: ولا يهمك، سأل شاب في مكان قريب، كله عام؟ وأصغيت متعجباً وكان الليل قد أوغل حتى آخر عظامي.

منادي قلعة الجبل يقرع طبلته، يتوجه بالنداء إلى أهل المدينة.

أهالي القاهرة...

استخرج الملك العظيم سيف الدين قطز.

بعد أيام قليلة لحامدة الكفار.

ونصرة الدين...

فجند التتار يهددون الديار وهم خربوا بغداد وقتلوا خليفة المسلمين واستباحوا نساءها.

ومزقوا أكارها ولا طوا بأطفالها.

جند التتار يهدون الأهل والديار.

ادعوا للملك العظيم سيف الدين بالنصرة على عدو الله وعدوكم.

يا أعراب البادية. يا نسل الصحابة والجاهدين

مشيتي. وصدمني الكثيرون حتى أن عامتي كادت أن تنخلع. وكان الليل يمرحل فما زال الليل يلي النهار. وكانت الأصوات عالية. رجال يزعقون وصبية يتصاحجون ونساء يتهايمن ويتغامزن... وكنيت لو أقعد في مكان بعيد أقرب كل هذا، غير أنني لا أعرف الطريق، وكنت تعباً فقد بلغت في زمني الأول سبعة وسبعين سنة، لكنني لم أستطع إلا الشئ، إذ أن المارة يندفقون كهر النيل في عام تماظم فيه الفيضان واشتد، فجأة جذبني رجل من ذراعي فكدت أنكفي، على وجهي.

- لو سمع... امش فوق الرصيف.

ما الذي جرى للناس فجأة... لم أعرف ما يحدث، في عرض الطريق وقف شباب ينظرون الراح والجاي، وقرأت في الوجوه أن شيئاً عظيماً يقع، وكان الليل قد نزل جامداً كالحديد، خفض الأصوات فجأة فارتعب قلبي. تنبعت من بعيد أصواتاً مكتومة هائلة كان السماء تقع فوق بعضها، ارتجت النيوت رجاً مهولاً، كادت ضلوعي تنخلع من الخوف، قال رجل.

الضرب جامد نائحة الماسية.

رد آخر... أوقفنا لم طائرتين.

لم أرهم غير أن ما قلاه. أحسته، هناك خطر وكانت الرجل قد خفت من الطريق، فاستندت إلى جدار جامع قديم، وكنيت لو التي امرأتني وعيالي، لو بقي قائم كما هو.

انتطع الصوت فنزل هدوء كانه السوق لحطة قطع رأس طفل